Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشريعة أولاً، ثم يصل بالشريعة إلى الحقيقة. وبهذا النهج الواضح القويم، تخرَّج في مدرسة أبي مدين الصوفية العديد من التلاميذ الذين بلغوا أعلى المراتب الصوفية، ويقال: إن عددهم يصل إلى الألف، ومن هنا لُقِّب أبو مدين بلقب شيخ الشيوخ.

وفي مرحلة متقدمة من حياته، ترك أبو مدين الدنيا بأسرها وراء ظهره. وصار يعيش كالطير التي يدبِّر الله قوتها يوماً بيوم، مصداقاً لقوله ﷺ: «لو اتقيتم الله حق تقاته لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتعود بطاناً» وفي هذا المقام، ترك أبو مدين الحرفة التي كان يعمل بها، وجلس مع الله على الفتح مرتزقاً بما يرسله الله أولاً بأول.. فاعترض بعضهم عليه، لأن الصوفية كانوا دائماً أصحاب حرف ومهن، وليس من المعتاد عند مشايخ الطريق ترك التكسب بالعمل. ولنترك ابن عربي يروي ما جرى:

«فقيل له: يا أبا مدين، لِمَ لا تحترف؟ أو لِمَ لا تقول بالحرفة؟ فقال: أقول بها.. فقيل له: فلِمَ لا تحترف؟ فقالَ: الضيف عندكم إذا نزل بقوم وعزم على الإقامة، كم توقيت زمان وجوب ضيافته؟ قالوا: ثلاثة أيام، وبعدها يحترف ولا يقعد عندهم حتى يحرجهم! قال أبو مدين: الله أكبر، أنصفونا! نحن أضياف ربنا تبارك وتعالى، نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة، فتعيَّنت الضيافة، وأيام ربنا كما قال: «كل يوم كألف سنة مما تعدُّون» فضيافته بحسب أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة ولم نحترف، يتوجَّه اعتراضكم علينا..» ثم يعقِّب ابن عربي قائلاً: «فانظرْ في هذا النَّفَس، إن كنت منهم!».

هكذا تفرَّغ أبو مدين تماماً لتربية المريدين، ولم ينشغل بأمر آخر. وتوافد عليه الأتباع، وانتشر أمره في بلاد المغرب، وصار يخرج على يديه الصوفية والأولياء الذين لقَّنهم قواعد الطريق إلى الله؛ ومن بين تلاميذه